

## شاعر مصري يعيد إحياء آباءه في القصيدة

كتاب ينسب شعراء النثر المصريين إلى قباني ودرويش



نزار قباني أبرز آباء الشعر العربية الحديثة وأشهرهم

وبالرغم من أن المحبة كانت دافعا لكتابة كل المقالات إلا أن ثمة تباينات ملحوظة في لغة الكتابة نفسها، فكانت ذاتية حميمية دافقة عند الحديث عن الآباء وقد تناولهم كشاعر، بينما في حديثه عن أعمال إخوته في قصيدة النثر خفت صوت الشاعر وعلا قلبا صوت الناقد المتمسك للقواسم المشتركة والاطر العامة الجامعة بين إخوته.

اللغة بوصفها فضاء تنطلق الشعرية منه وعبره في أن واحد، وبنفس المحبة يكتب "نشأ زعوي زعبي الموسيقي" عن محمد عيسى إبراهيم، وعن "جسيم المعتزل" عماد أبو صالح، ويتوقف عند تجارب عدد من شعراء النثر المصريين منهم علي منصور، إبراهيم داود، إيمان مرسل، شريف رزق، سمير درويش وغيرهم.

الذي ارتبط بالشعراء الجدد، إما عن شعرية جمالية تنتمي من حركية النصوص وانتقالاتها، وإما مجازة لموجة شعرية سائدة، أما اللغة الثانية فواصلت مشروعها بإصرار على القيم الجمالية التي ارتبطت بها طويلا وبشكل مُطرد، ومنها يبرز علاء عبد الهادي، بجزارة إنتاجه وإصراره على طرح تجربة تخصه وحده، إذ يتعامل مع

وانطلاق الشعرية التي تحمل داخلها الوشائج الإنسانية التي تتجاوز بها مقولة "شاعر الكفاح المسلح" إلى "الشاعر الإنساني".

## خطية التصورات الجاهزة

ينطلق نص مؤمن سمير من مظلة قومية، تتسع ظلها لتشمل هويته الفلسطينية وانتماءه الماركسي وعروبته بل ودرزيته كذلك، يحترم الحضارة العربية لكنه لا يقع في فخ التقديس، بل يضعها في سياقها الإنساني، ولا يرى ثمة فارقا فنيا بين تمثله للقرآن أو الكتاب المقدس أو حتى كتاب غربي مؤسس في الفلسفة أو في النضال، ولا يضع الحضارة العربية في مواجهة الحضارة الغربية، بل يعتبر أن كل منجزات البشر تتكامل وتتعاقد رغم الاختلافات المصنوعة من المستغلين في كل زمان ومكان، ويمتلي نصه بتأثير الثقافة الإنسانية ورموزها وإيقوناتها وموتيفاتها، لكن الأداء الشعري لا ينفلت ليصل لدرجة التناقص والجفاف والتعوير.

كذلك يذهب الكاتب إلى أن الواقع السياسي فرض على وعي متلقي شعر أمل دنقل أن يحصره في قصائده السياسية، وخصوصا "لا تصالح"، فتم تجاهل قصائده الإنسانية الأكثر فنية ربما، وأكثر قربا من شرط الشعر، فوقع المتلقي في خلية التصورات الجاهزة، كما أدى التكاسل النقدي إلى عدم الانتباه إلى ما في شعر أمل دنقل من تعدد وتنوع في الرؤية وفي الأداء الشعري، خصوصا في ديوانه الأخير المعبر عن اكتماله الإنساني، وصرخته الأكثر عذوبة وشجنا.

بعد الحديث الحميمي عن الآباء المؤسسين، يخصص مؤمن سمير نحو ثلاثة أرباع صفحات كتابه للحديث عن الآباء التالين لهم، ثم عن إخوته شعراء قصيدة النثر من نفس جيله، وبالرغم من أنه يرفض المفهوم الجبلي في الشعر المصري، لأنه يجمع بين شعراء قد يكونون على النقيض في الانتماء الفني والعقيدة الشعرية، إلا أنه يصف جيل السبعينات في مصر بأنه "الجيل الفارق والإنشائي" الذي لولاه لكان أبائنا هم الشعراء الذين ظهرنا في مرحلة ما بعد الشعراء الرواد والذين لم تصف قصيدتهم إلا إعادة إنتاج نصوص سابقهم والدوران في فلكها. ويقسم شعراء السبعينات في مصر إلى فئتين: الأولى تبنت النص

على خلاف ما درج عليه الشعراء والنقاد العرب الآخرون من قتل الأب فقد اتجه الشاعر والناقد المصري مؤمن سمير إلى إحياء الآباء في كتاب جديد له، حاول من خلاله تبيان تأثير آباء شعريين كثيرين على قصيدة النثر حتى وإن لم يكتبوها أو لم يؤثرها فيها بشكل مباشر.

## أحمد رجب

القاهرة - يخاض الشطر الأول من عنوان الكتاب الجديد للناقد والشاعر مؤمن سمير "الأصابع البيضاء للجسيم.. قراءات في محبة الشعر" قارئه، فيبدو كما لو كان عنوانا لديوان شعر، لكن الشطر الثاني يزيل الالتباس ويكشف عن محتواه الضام لمقالات عن الشعر، وتلح كلمة "محبة" فيه إلى جانب ذاتي يفعم تلك المقالات، وهو ما انعكس على لغتها وأيضاً على منهجها.

## بعد الحديث الحميمي عن الآباء المؤسسين، يخصص الكاتب نحو ثلاثة أرباع مؤلفه للحديث عن الآباء التالين لهم

الشاعر في المقالات الأولى يستعيد سير الآباء، وهو كشاعر لا يتناولهم بالتحليل بقدر ما يرسم صورتهم عنده ويرصد تأثيراتهم فيه، وذلك في القسم الأول من كتابه الصادر مؤخرا عن دار ابن رشد بالقاهرة.

## نزار ودرويش

يبدأ مؤمن سمير استعادة أثر نزار قباني فيه بتذكير تحذيرات أبيه "إلا نزار يا ولدي، صورتني عنك سنسبر نحو سكة الانفلات الأخلاقي"، لكنه لم يتجاهل نزار إلا عندما خاض مع الخاضعين في معارك قصيدة النثر في مصر، فتجاهله عامدا، خوفا من الخائسة الفنية الضيقة التي وضعوه فيها، فقد راهو لصيقا بشعرية عامة وليئة، تخص الجميع وليس النخبة؛ لكن نزار يابى الاستبعاد والتهميش، يظل "حاضرا طوال الوقت، وإن بالنقض والرفض، هو تحت جلدا أيا كانت درجة نرق أو نضج المرحلة التي نتعامل فيها مع مشروع"، وسيظل شاعرا يلتقط روح الحياة عبر تفاصيلها وروايتها وحسيتها.

وتتمثل أهم دروسه في "الجرأة والثورة والحرية وتكثيف الكنت وعقيدة لا نهائية بالإنشائي، كموضوعات شعرية، والأهم تفكيك اللغة الجزلة المتعالية المقدسة ورفضها بالعبادي المتاح

## حين يكون الشاعر طفلا عسير الرضا



ليس أكثر قلقا من حياة المبدع، وبخاصة الشاعر، فهو يعيش بانتظار أن يكتب قصيدة تحقق له الرضا

السرد الذين تزخر مكتبتني بإبداعاتهم ولا تفارقني، ماركيز، يوسا، ساراماغو، إيزابيل ليندي، جيمس جويس، همنغواي، غوركي، وأورهان ياموق. مع أن قراءات عذاب الركابي تبدو لي أوسع مما ذكر ومن ذكر من الكتاب والشعراء، ويظهر ذلك جليا في نصوص استشهد بها في نصه الذي نحن بصده، وهي استشهادات معرفية وليست مجرد استعراض معارف، وأخيرا لا بد من التوقف عند تجربة مفارقة وطنه ومدينته وأمه، وكان قاسبا وهو يدير ظهره لأمه، ولم يرها بعد كل السنين القاحلة التي عاشها بعيدا عنها، وأقام في العاصمة الليبية طرابلس وفي غيرها من المدن الليبية، ثم كانت رحلته "العوليسية" منها إلى حيث يقبع الآن في مدينة الإسكندرية. وتمر السنين والأعوام، وما زال الركابي يواصل الكتابة، وما زال الطفل فيه، عسير الرضا.

وأسلوب بلاغي يكره السائد ولغة تطير من المألوف. ويحدثنا الشاعر عذاب الركابي عن قراءاته قائلا: قرأت كل ما وقع تحت يدي من كتب، خيارى الوحيد، حريتي المعبودة وسجيتي كما العشق، كل كتاب حياة، لحظة عشق نادرة ومطلع قصيدة جديدة، بدأت بكتب الأرصفة والشوارع الخلفية في مدنا العربية، في بغداد شارع المتنبي، تعرفت إلى كبار الكتاب والشعراء العراقيين، البياتي، السياب، الجواهري، غائب طعمة فرمان، عبدالرحمن الريبي، فاضل العزاوي، حسب الشيخ جعفر، حسين مردان، سركون بولص، جمعنتي ببعضهم صداقة حميمة وأنجزت عنهم كتبا مهمة.

ومن الكتاب والشعراء المصريين والعرب، اندشني عبقرى الرواية نجيب محفوظ ويوسف إدريس، وجمال الغيطاني، وبهاء طاهر، وأدوار الخراط، ومحمد إبراهيم أبوسنة، ومحمد رجب، ومحمد جبريل، ومن الشعراء الكبار صلاح عبدالصبور، نجيب سرور، أحمد عبدالمعطي حجازي، حسن طلب وغيرهم. ويقول: كنت مهووسا بأبى الغرب، بكتابه وشعرائه، من الذين أثروا حياتي الإبداعية وأثروا فيها، والت ويتمن، أوتكافؤ باث، بابلو نيرودا، سان جون بيرس، إزرا باوند، لوركا، مايكوفسكي من الشعراء، ومن عمالقة

وهذه التجربة عرفتها في طفولتي بكل ما فيها، وتحدثت عنها مرارا، لكنني عشت طفولة وصبا، لم أعرف فيها ما عرف من معاناة، وذلك أمر لا بد له فيه ولا لي يد فيه، إذ لم تختر طبيعة طفولتنا ولم نشارك في أسباب ما عشنا فيه، سواء في اليسر أم العسر. إن ذلك الطفل الذي له من اسمه نصيب، سيجد نفسه يعيش معاناة أخرى، معاناة الشعر، فكل ما يملك من ثروة في الحياة، قصائد وكلمات،



عذاب الركابي الشاعر الطفل

بل أن النهر الذي يشير إليه، هو النهر الذي ولدت على ضفافه وكان فضاء ذاكرتي ومن ثم مخيلتي في أن، وساعترف أن انطباعاتي عنها، تختلف عما قاله عنها، لكن ومن دون مجاملة، سأقول: إن الحق معه. وإذا كانت طفولته قد اقتترنت بولعه بالأغاني والأشعار الشعبية التي كانت ترددها أمه، ومن ثم كان يشعر، كما يقول بشيء يسكن تحت لسانه، وهذا الشيء ليس سوى مخاض قصيدته،

فالنص الذي أحب، هو الذي يدعوني إلى الكتابة عنه، لكن نصا مركبا مثل نص "الروح يسر أناني" من أين يكون تناول ما يكتب عنه؟

ولا بد من القول إن عنوان مقالي استخلصته من سياق نص الركابي، حين قال "أنا الشاعر الطفل عسير الرضا" وتلك حقيقة، فليس أكثر قلقا من حياة المبدع، وبخاصة الشاعر، فهو يعيش عمره بانتظار أن يكتب القصيدة التي تحقق له الرضا، فلا يتحقق أبدا، ويظل يعيش قلق الانتظار وعذاب الانتظار لحظة الرضا، وللكتاب الشاعر معاناة لم يخترها، بدأت بتاريخ مولده، إذ كان بعد وفاة والده فاخترت له أمه اسم "عذاب" حيث يقول: أنا سليل تربة تنجب الحزن والفقر والغيار، حملتني أمي عبء هذا الاسم، ولدت في أحضان فقر مربع، كل النهارات التي عشتها ليل طويل.

ويقول عن المدينة التي ولد فيها: المدينة البسيطة التي تقبأها خرائط الكون، ويسور ضحكها المستحيلة وأحلامها المبددة، جيوش تترية من رياح السموم والغيار، مدينتي التي يغسل تعجبا وحزنها الزمن نهر صغير، راوي قصصها الأملث ومنجم فرحها وحزنها الذي لا ينفد. هذه هي مدينة الشاعر أو هكذا رأها، وليس دائما، تشبه المدينة التي نعرف، وسأقول: إنني أعرف "الدووانة" وهي ليست بعيدة عن مدينتي "الحلة"

حميد سعيد كاتب عراقي

في صباح أحد الأيام كنت في مقهى فوانيس أقلب صفحات أحد أعداد مجلة "الحياة الثقافية" التونسية، ومن عاداتي حين أقرأ مجلة ما، ألا أترجم بتسلسل المواد المنشورة فيها، بل أقرأ من عنوان إلى آخر، ليس بدوافع محددة، وإنما بما يشبه الهاجس الذي يوقفتني عند هذا الموضوع أو ذلك أعود إلى ما بدأت به، إذ كنت أقلب صفحات المجلة، وتوقفت عند عنوان "اليوح يسر أناني" للشاعر والكاتب العراقي عذاب الركابي، وكنت أعرف أن لا حدود لما يتناول ويكتب فيه، فاستغرقت في القراءة، ووجدتني أمام نص يتسم بالثراء على صعيد الموضوع والجمال، إذ يتوزع بين السيرة وانفتاح الإبداع في فضاء القراءات وخزين الذاكرة. حين انتهيت من قراءة النص المذكور، طويت المجلة، مع أنني كنت وحدي، ولم يصل بعد أي من أصحابي، وبدأت أستعيد ما قرأت وأشار بما أملك من خبرة في التلقي، وبخاصة الكاتب في بوحه، حتى أنني لم أشارك أصحابي أحاديثهم في ذلك الصباح، وفي البيت عدت إلى قراءة هذا النص الذي ووجدتني أشعر برغبة في الكتابة عنه، وهذا ما أفعله في أكثر الأحيان